العملية البطولية في غزة تثير قلق الإسرائيليين والصحف العبرية تعتبرها 'ذكاء غزي'

28-6-2004

وبحسب التفاصيل الأولية للعملية النوعية في غوش قطيف، فقد حفر مقاتلو كتائب القسام نفقا يصل إلى أسفل الموقع الإسرائيلي، ثم زرعوا كميات ضخمة من المتفجرات، ونسفوا الموقع، ثم قام مقاتلون آخرون من الكتائب بفتح نيران أسلحتهم الرشاشة، وأطلقوا قذائف الهاون باتجاه الموقع؛ وهو ما زاد من عدد الإصابات في صفوف جنود الاحتلال.

بقلم وسام عفيفة

تمكنت كتائب عز الدين القسام خلال أقل من 12 ساعة من توجيه ضربتين موجعتين لقوات الاحتلال الإسرائيلي أسفرتا عن مقتل 3 إسرائيليين على الأقل وإصابة 5 آخرين. وحسب اعتراف المصادر الصهيونية، فإن العملية الأولى والنوعية نفذتها "القسام" مساء الأحد 27-6-2004، فجرت خلالها موقعا عسكريا إسرائيليا حصينا عند مفترق المطاحن "غوش قطيف"، مما أسفر عن مقتل جندي إسرائيلي وإصابة 5 آخرين. وأسفر قصف بصواريخ القسام لمستوطنة سديروت في جنوب الكيان، في وقت لاحق، عن مقتل إسرائيليين على الأقل.

وبحسب التفاصيل الأولية للعملية النوعية في غوش قطيف، فقد حفر مقاتلو كتائب القسام نفقا يصل إلى أسفل الموقع الإسرائيلي، ثم زرعوا كميات ضخمة من المتفجرات، ونسفوا الموقع، ثم قام مقاتلون آخرون من الكتائب بفتح نيران أسلحتهم الرشاشة، وأطلقوا قذائف الهاون باتجاه الموقع؛ وهو ما زاد من عدد الإصابات في صفوف جنود الاحتلال.

ويعد موقع "محفوظة" الواقع على مدخل مجمع غوش قطيف الاستيطاني من أكثر المواقع الإسرائيلية تحصينا. ويجري بهذا الموقع تبادل الدوريات العسكرية الإسرائيلية.

ويشرف الموقع على حماية مرور المستوطنين والدوريات العسكرية المتجهة من "غوش قطيف" وإليه.

وأقرت تعليقات الصحفيين والمحللين العسكريين في الصحف العبرية باعتراف ضمني بقدرة المقاومة وذكاء المقاتلين في غزة، فقد كتب الصحفي الإسرائيلي "عميت كوهين" في معاريف 28-6-2004 تعليقا تحت عنوان: "ذكاء غزي"، وقال:)منذ أمس (الأحد) وبعد تفجير موقع أورحان ودفعه إلى الانهيار، يمكن الحديث عن اصطلاح جديد في الساحة الفلسطينية: "إرهاب غزي". لم يعد هناك إرهاب فلسطيني، بل فقط إرهاب يخرج من داخل قطاع غزة، هذا إرهاب استراتيجي، يكتشف الطرق للتغلب على العوائق التي تنصبها إسرائيل. فمن ناحية عددية، يحصد الإرهاب العراقي كميات هائلة من الضحايا، ولكن من حيث مستوى التخطيط والتنفيذ، فإن الإرهاب الغزي هو الاكثر تطورا في العالم(.

ويضيف كوهين:)الفارق بين غزة وبين يهودا والسامرة يبدو بسيطا للوهلة الأولى، ويمكن إيجازه في كلمتين: "السور الواقي". فالحملة الكبرى كانت نقطة الانعطاف الإستراتيجي في تحطيم الإرهاب في الضفة. غير أن الجيش الإسرائيلي احتاج لسنتين إضافيتين من النشاط شبه اليومي داخل المدن من أجل تصفية البقايا، إلا أن هذا التشبيه تبسيطي، وليس مؤكدا على الاطلاق أن حملة على طراز "السور الواقي" ستغير الصورة. الوضع في غزة مغاير تماما: من حيث كمية وسائل القتال، الاكتظاظ، وحتى من حيث تزمت السكان. والدخول إلى المدينة المحملة بالأطنان فوق الأطنان من الوسائل القتالية، من القيادات الميدانية الخبيرة، ومن آلاف الكلاشينات، من شأنه أن يوقع خسائر عديدة. وحتى بعد حملة واسعة النطاق سيحتاج الجيش الإسرائيلي إلى فترة طويلة أخرى من العمليات الموضعية، كي يصل إلى المستويات القيادية الثالثة والرابعة، على فرض أن باقي المستويات صفيت. وعندما يكون انسحاب من طرف واحد على جدول الأعمال، من الصعب رؤية كيف يمكن لمثل هذا الأمر أن يخرج إلى حيز التنفيذ(.

أما الصحفي من عمير ربابورت فقد كتب في معاريف تحت عنوان: فك ارتباط مضرج بالدماء، جاء فيه: "من الأفضل للمرء أن يكون واقعيا فيعترف حسب السيناريوهات المعقولة، أنه كلما اقترب موعد الانسحاب كلما تعاظمت جهود منظمات الإرهاب في تنفيذ العمليات. فلا يعوز هذه المنظمات الدافع للعمليات على أي حال... وهم يعيشون ذروة منافسة، في أن من ينتصر فيها، سيذكر في الرأي العام الفلسطيني بأنه الجهة التي نجحت في طرد إسرائيل من القطاع بالقتل والدمار. هذه المنافسة من شأنها أن تؤدي إلى تصعيد شديد على نحو خاص، بقدر ما تكون عملية فك الارتباط طويلة ومتدرجة، وبالنسبة لكثيرين في جهاز الأمن، فإن العملية أمس كانت غير متوقعة. في الماضي بذلت محاولات غير قليلة لتدمير مواقع عسكرية بواسطة أنفاق متفجرة. ففي موقع ترميت العسكري وفي موقع حردون في محور فيلادلفيا منعت خسائر في الأرواح فقط بسبب أن المخربين لم يضعوا المواد المتفجرة في المكان السليم. أما أمس في موقع اورحان انتهى الحظ، وكان يمكن للمصيبة أن تكون أكبر بكثير، لو كان في الموقع جنود أكثر. موقع اورحان الذي دُمر أمس شكل من الناحية العملية نقطة سيطرة على محور الدخول إلى غوش قطيف وعلى الطريق الرئيس لقطاع غزة على حد سواء، والذي يصل مدينة غزة برفح ويسمى في خرائط الجيش محور "تنتشر". وبعد انهيار الموقع، لم يعد شك لدى أحد في الجيش الاسرائيلي بأن السيطرة في قطاع غزة حتى فك الارتباط عنه، هي اليوم المهمة العسكرية الأشد صعوبة.

رئيس الاركان موشيه (بوجي) يعلون تجول أمس في قطاع غزة حتى أقل من ساعتين قبل الانفجار، ووقف عن كثب بنفسه على المصاعب".

أما المراسل العسكري لصحيفة يديعوت احرنوت اليكس فيشمان، فقد انتقد في تعليقه على العملية، جيشه وجهاز مخابرات دولته قائلا: عندما يُجمع بين مخابرات ضعيفة ودفاع خامل فإن النتيجة الأولية تكون كارثة لا تحمد عقباها. هذه المرة حالفنا الحظ ولم نتكبد نسبيا هذه الخسائر الفادحة. كلما نتقدم نحو فك الارتباط يزداد الثمن الواجب دفعه جراء ذلك. نحن مستمرون في إصرارنا على عدم الاعتبار والاتعاظ من تجربتنا في لبنان. ويضيف المراسل العسكري أن الخندق الذي فُجر تحت الموقع العسكري في كيسوفيم احتاج أسابيع وربما أشهر لانجازه. هذا الخندق انطلق من أحد الأزقة أو المنازل الموجودة على بعد عشرات الأمتار من الموقع العسكري، لكن لم يكن أحد على علم أنهم يحفرون تحت أنفه.

ويستذكر الصحفي الإسرائيلي العمليات المشابهة ويقول في السنتين اللتين تلتا العملية التي وقعت في الموقع العسكري ترميت القريب من محور فيلادلفيا، اعتبر حفر الخنادق تحت المواقع العسكرية وتلغيمها إنذارا ثانيا في قطاع غزة. واليوم هناك إنذارات بشأن حفر الخنادق من قطاع غزة إلى داخل الخط الأخضر، تهدف المنظمات من خلالها تهريب المقاتلين المنتحرين.

الحديث يدور حول إنذارات شاملة تم تنفيذ جزء منها، على سبيل المثال، في المنطقة الصناعية ايرز، والجزء الآخر ما زال قائما، لكن لا أحد يعلم كيفية التصرف والتعامل معها. من دون امكانيات تكنولوجية متقدمة وملائمة لا يمكن كشف خندق يمكن حفره في قطر مداه 360 درجة حول موقع عسكري أو مستوطنة. ويتسائل هذ الصهيوني بغضب: لماذا لم يجتهد الخبراء في هذه الدولة لتطوير أجهزة لكشف الخنادق بعد كل هذه السنوات؟ هذا سؤال جيد، لكن حتى اليوم لا يملك الجيش الإسرائيلي أجهزة تكنولوجية يستطيع بمساعدتها كشف الخنادق.

ويطرح حلوله قائلا: الطريقة الوحيدة للتعامل مع الخشية من الخنادق هي الخروج من الموقع العسكري وتنفيذ طلعات سرية بواسطة وحدات مشاة، في قطر مداه كيلومتر أو أكثر. بالإضافة إلى عمليات اقتحام تهدف إلى اعتقال المشبوهين ومساعدي المنظمات الذين من خلالهم تستطيع الحصول على معلومات كثيرة.

هذه الأمور تنفذ، لكن بعد فوات الأوان. عمليا، شرعوا في تنفيذها بشكل مكثف خلال الحملة الكبيرة في رفح "قوس قزح" لكن تبين للجيش بعدها أن أي شخص في الدولة والعالم لا يمكن أن يرضى بعمليات عسكرية تكون باحتكاك دائم مع السكان المدنيين. لماذا بدأ الجيش تنفيذ هذه العمليات بعد فوات الأوان؟ أيضا هذا سؤال جيد، في جميع الأحوال، فإن هذه العملية ستعطي ثمارها بعد وقت قصير، لأنه كلما اقتربنا من تنفيذ خطة فك الارتباط كلما ازدادت العمليات التفجيرية وعظم وقعها.